مجلـــــــةالاتصـــــال والصحـافة

المجلد 08 / العـدد: 01 (2021)، ص 25- 39

الصورة النمطية للعرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية
دراسة وصفية لنتائج مجموعة أعمال بحثية

The stereotype of Arabs and Muslims in the Western media
Descriptive study of the results of a research work group

بشرى مداسي

أستاذ محاضرة- ب-

جامعة الجزائر 03

bouchrahouda@live.fr

تاريخ الاستلام: 2020/07/12 تاريخ القبول: 2020/10/22 تاريخ النشر : 2021/01/14

ملخص:

من خلال هذا المقال سنقوم باستعراض مقارن لعدد من الاتجاهات النظرية العامة بصدد التعمق في دراسة مفهوم الجذور و الدوافع التاريخية للصورة النمطية للعرب والمسلمين في وسائل الاعلام الغربية، فضرورة التمييز في هذه الدراسة بين الدراسة كمفهوم، وكصناعة، لها اشكالها وأنواعها ودوافعها : وكمفهوم له طبيعته المركبة التى تستمد خصائصها من موقف العداء الغربي ذاته، ومن طبيعة وعلاقات القوى التى تحكم أطرافها وموضوعها على مستوى العلاقات الدولية، وعلى المستوى الداخلي لكل دولة اصبح امر ملح. وتبقى الدراسة كظاهرة تتسم بالتعقد البالغ.

ان حرب الاسلام مع الغرب تحمل محرضات كامنة فكرية وعرقية اضافة الى صراع المصالح. فالصراع له تاريخ ماضي، والصراع بين الحضارات انما هو في جوهره صراع بين معتقدات، لا بين طبقات ولا عرقيات. والمنتمون الى قومية واحدة قد يقتل بعضهم بعضا اذا اختلفت معتقداتهم .وفي هذا الاطار يجب تحديد العلاقة بين العدو والعولمة، والعدو والامبريالية والعدو والعلمانيين.

الكلمات المفتاحية : الصورة، الصورة النمطية، العرب والمسلمين، وسائل الإعلام، الغرب .

المؤلف المرسل : مداسي بشرى

Abstract:

Through this article, we will review a comparative number of general theoretical trends in depth in studying the concept of roots and historical motives for the stereotype of Arabs and Muslims in Western media, the need to distinguish in this study between the study as a concept, and as an industry, has its forms, types and motives: and as a concept that has its complex nature Which derives its characteristics from the position of Western hostility itself, and from the nature and relations of forces that govern its parties and its subject at the level of international relations, and at the internal level of each country has become urgent. Islam's war with the West carries underlying intellectual and ethnic instigators in addition to the conflict of interests. and the struggle between civilizations is, in essence, a conflict between beliefs, not between classes or ethnicities . In this context, the relationship between the enemy and globalization, the enemy, imperialism, the enemy and the secularists must be defined.

Keywords : Image, stereotype, Arabs and Muslims, media, the West**.**

1. مقدمة:

لعل الصورة المشكلة عن الآخر المختلف من حيث العرق أو اللون أو الدين أو مكان الإقامة تعود إلى بداية تشكل المجموعات البشرية، فكل مجموعة تشكل، في مخيالها، صورة ما عن المجموعات الأخرى المختلفة عنها.

هناك من يرى بأن التعامل مع الآخر "بموجب الأحكام المسبقة وأنماط الوعي الثابتة والسطحية تجاهه، كانت قد بدأت (..) منذ أن بدأ التواصل بين المجموعات البشرية، فتعاملت الحضارات المتتالية والمجموعات السكانية على مر التاريخ مع بعضها البعض بموجب أحكام مسبقة عامة ذات مصادر مختلفة ومتنوعة."(لقاء مكي،2020)

كانت صورة الآخر، المختلف لونا ودينيا وعقائدي، الخ، تتشكل في مخيال كل إنسان من خلال الحكايات والأساطير والمعلومات المتوفرة عن ذلك الآخر قبل أن تنتشر وسائل الإعلام والاتصال وتتطور لتصبح أكبر مجال (لصناعة) الصورة النمطية عن الآخر.

إن خلق حالة الشعور بالخوف من عدو أجنبي لتوحيد الأمة وجعلها تلتف حول عقائد وبرامج وأفكار معينة يحتاج دوما للتحسيس بأن هناك مؤامرة تحاك ضد جهة أو أقلية أو شعب

أو أمة من طرف جهة أخرى وأن من أسباب هذه المؤامرة كون المتآمر يحمل عقيدة أو برنامج أو أفكار مختلفة، بل خطيرة وهدامة، مما يقضي على أي احتمال للتعاطف معه.

ولأن العقيدة وأحداث التاريخ ووقائعه بالإضافة للقرب الجغرافي كانت كلها من الأسباب التي أدت، على طول قرون من الزمن، إلى صدامات متتالية بين العرب والغرب؛ فإن هذا الغرب عمل دوما على خلق وترسيخ صورة نمطية للعربي المسلم البدوي المتخلف والمختلف تماما عن الرجل الغربي المسيحي المتمدن والمتحضر.

نجد في كتب الغربيين القديمة آثار هذه الصورة التي نسجت في مخيال مواطنيهم عن العرب المسلمين وقد رسمها الكثير من الرحالة والمؤرخين والمقاتلين، ومع تطور وسائل الإعلام والاتصال، منذ بداية القرن الماضي، أصبحت هذه الأخيرة أكبر "منتج" للصورة النمطية عن الشعوب الأخرى المختلفة، وقد استعمل الغرب هذه الوسائل لتدعيم وتثبيت الصورة القديمة للعربي المسلم المتخلف والهمجي.

منذ سبعينيات القرن الماضي، بدأت تظهر الكثير من الدراسات التي أنجزها باحثون عرب في الجامعات الغربية حول الصورة التي تشكلها وسائل الإعلام الغربية عن العربي المسلم.

وعليه فإن السؤال الذي يطرح هو: **ما هي ملامح الصورة النمطية للإنسان العربي من خلال مضمون كبريات الصحف الغربية؟**

تتطلب الإجابة عن هذا السؤال تفكيكه إلى مجموعة التساؤلات التالية:

- ما هي الصورة النمطية؟
- كيف تتشكل الصورة النمطية؟
- ما هي ملامح صورة العرب والمسلمين في الصحافة الغربية؟
- ما هي استراتيجيات الإقناع المعتمدة من طرف الصحافة الغربية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، وجب الرجوع إلى مختلف التعريفات التي تقدم للصورة النمطية كي ندرك معناها وأهميتها في ترسيخ أفكار و(كليشيهات) معينة عن شعوب أو أمم معينة لدى شعوب أو أمم أخرى، و(كيف تتشكل؟) لنبحث، في الأخير، عن ملامح صورة العرب والمسلمين في الصحافة الغربية من خلال مجموعة أعمال بحثية أنجزت بجامعات غربية

(ألمانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا وفرنسا) ونشرت لاحقا في كتب سنعتمدها كمصدر أساسي في مقالنا هذا، وهي (الدراسات) مرتبة، حسب صدورها الزمني، كالتالي:

- كتاب "صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية" لصاحبه سامي مسلم(سامي مسلم، 1985) ؛
- كتاب "صورة العرب في عقول الأمريكيين" لصاحبه ميخائيل سليمان(ميخائيل سليمان،1987) ؛
- كتاب "صورة العرب في الصحافة البريطانية" لصاحبه حلمي خضر ساري(حلمي خضر ساري،1988) ؛
- كتاب باللغة الفرنسية "الإسلام والإسلاميين من خلال الصحافة الفرنسية. حالة إيران والجزائر" لصاحبه أحمد عظيمي(**2006 , Ahmed ADIMI**).

نلاحظ أن هذه الكتب الأربعة هي في الأصل أطروحات جامعية نوقشت في كل من ألمانيا، أمريكا، بريطانيا وفرنسا، وعليه فإن أهمية هذا الموضوع تبرز من خلال أهمية النتائج المتوصل إليها في هذه البحوث العلمية، خاصة وأنها تناولت فترة زمنية تمتد من منتصف السبعينيات حتى بداية القرن الحالي مع ما رافق ذلك من أحداث وصراعات وحروب عاشتها المنطقة العربية وتدخل فيها الغرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

2- تعريف الصورة النمطية :

جاءت كلمة النمطي من القالب النمطي الذي يستخدم في الطباعة لوصف الصفائح المعدنية التي تطبع عليها الحروف بطريقة الصب الحراري فتصبح ثابتة لا تمحى، ومنها جاءت عبارة الصورة النمطية التي تعني "صب" أو "تشكيل" صورة معينة عن شخص أو مجموعة أشخاص أو بلد أو أمة، الخ؛ لا يمكن محوها.

أصل العبارة، في اللغة العربية، هو ترجمة لمصطلح (**Stéréotype**)المشتقة بدورها من الكلمة الإغريقية **(Stereos)** التي تعني "راسخ قوي" و**(typos)** التي تعني "انطباع". وبالتالي فمعناها الحرفي هو: انطباع قوي لفكرة/نظرية أو عدة أفكار/نظريات.

استخدم المصطلح لأول مرة من طرف "فيرمين ديدوت" سنة 1798، وقصد به ما يسمى في الطباعة (الطلي) أي ذلك القالب الذي يعد للطباعة ويصعب تغييره بعد صنعه، ويستعمل لنسخ وطباعة الحروف والحصول على نسخ بدل الأصل.

استُخدم هذا المصطلح لفترة طويلة للتعبير عن "الصورة التي يمكن الحفاظ عليها بدون تغيير". وفي عام 1922 استخدم الصحفي الأمريكي "والتر ليبمان" مصطلح "الصورة النمطية" لأول مرة في كتابه (الرأي العام) للتعبير عن معناها السيكولوجي، لينتقل، بعد ذلك، إلى اللغات الأخرى.

لذلك، تعرف الصورة النمطية بكونها ذلك الحكم السابق بسبب وجود فكرة مسبقة عن شيوع فكرة معينة عن فئة معينة، فيقوم الناس بإلباسها صفة التعميم على كل أفراد المجموعة المعنية.

هي أيضا مفهومٌ ينتمي إلى علم النفس الاجتماعي، وقد اشتق المصطلح، كما أسلفنا، من عالم الطباعة وترتبط الصورة النمطية بمجموعة من التعميمات أو الأفكار المسبقة، والمبالغ فيها أحياناً عن شخص أو جماعة من الناس، يحكمها طابع الثبات والجمود فيكون من الصعوبة تعديلها أو تغييرها حتّى وإن توفّرت القرائن والبراهين على بطلانها (**alkhaleej.ae** . 2020)

وبهذا تعد الصور إحدى أدوات التفكير الثلاث: الصور، الرموز والمفاهيم.

يؤكد الباحثون بأن الصورة الذهنية ترتبط بالنظام المعرفي الخاص بالفرد، فهي، كما يقول (هاري ستاك سليفان) كل ما يملكة الفرد عن نفسه وعن الآخرين.

مع مرور الوقت، وتطور وسائل الاتصال بين البشر أصبحت (الصورة النمطية) فرعا جديدا في الدراسات الاجتماعية ومنها الإعلامية ويهتم (الفرع) باكتشاف آليات تشكل صورة الآخر في أذهان الناس، وتأثير هذه الصورة على توجيه الوعي وبالتالي السلوك تجاه ذلك الآخر، أيا كان.

3- تشكل الصورة النمطية

نهتم في هذا العنصر الثاني من المقال بالكيفية التي تتشكل بها الصورة النمطية، حيث تتفق معظم الآراء بان الصورة عن الآخر تبدأ في التشكل منذ الصغر ومن الأسرة أولا من خلال

حكايات الجدات فالمحيط الضيق فالشارع وأفلام الكارتون، ثم الكتب المدرسية والتجارب والملاحظات الشخصية.

في كل هذا تلاحظ جل الدراسات التي أنجزت عن الآخر سواء في الكتب المدرسية أو أفلام الكارتون أو السينما أو الصحافة بأن صورة الآخر هي في مجملها سلبية.

بدون التوقف عند مراحل الاتصال شفوي، نقول أن وسائل الإعلام هي من تحدد، في زمننا هذا، وبشكل كبير، ما يجب أن نعرفه عن الآخر وكيف يجب أن نراه وننظر إليه؛ مع ملاحظة أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال بدأت تغير المعطى التقليدي في تحكم وسائل الإعلام التقليدية في نشر المعلومة ومعها ملامح لصور الآخر.

4- صورة العرب والمسلمين في الصحافة الغربية

وجبت الإشارة في البداية إلى أننا أدمجنا العرب والمسلمين معا لأن الصورة المروجة عن العرب والمسلمين لا تفرق بين هؤلاء وأولئك فكل عربي، في نظرهم، هو مسلم وكل مسلم هو عربي.

كما أشرنا في المقدمة فسنتناول صورة العرب والمسلمين من خلال أعمال الباحثين الأربعة المذكورين أعلاه، حيث أمكننا إعادة تشكيل الصورة النمطية التي رسمتها الأعمال الأربعة للعربي في الصحافة الغربية في ثلاثة محاور رئيسية يحتوي كل منها على مجموعة عناصر مشكلة لهذه الصورة مع الأسباب التي جعلت الصحافة الغربية تتهجه نحو بناء وتأكيد وترسيخ هذه الصورة النمطية.

4-1- ملامح الصورة النمطية: من خلال تفكيكنا وتحليلنا لنتائج الدراسات الأربع، أمكننا تبيان ملامح الصورة النمطية للعرب والمسلمين التي تبرز خاصة من خلال خمسة أوجه رئيسية هي:

4-1-1- متخلفون وجبناء، حيث كانت هزيمة الجيش المصري أمام الجيش الإسرائيلي، أثناء حرب جوان 1967، فرصة لكل الصحافة الغربية لإظهار العربي في صورة الخائف والجبان الذي فر أثناء الحرب أمام قوة وشجاعة العسكري اليهودي.

لقد أظهرت الصحافة الغربية، أثناء تلك الحرب وبعدها، الكيان الصهيوني في صورة البلد الصغير الشجاع المدافع عن وجوده ضد التهديد "الهمجي العربي" كما ركزت على "شجاعة"

الجندي الإسرائيلي الذي حقق النصر في كل الحروب التي خاضها ضد العرب، مذكرة (الصحافة الغربية) بحربي 1948 و1956؛ ويقول سامي مسلم في كتابه محل هذا التحليل (ص 184) بأنه "وبالمقارنة مع هذه الصورة لإسرائيل فقد صورت هذه الصحافة العرب ونعتتهم بالمتأخرين، وغير المتطورين، وبشكل عام لم يكونوا جنودا شجعانا، فهم يفرون جزعا أمام الجيش الإسرائيلي المنتصر".

كما يشير نفس الباحث (ص 185) إلى أن صحافة ألمانيا الغربية، مثلها مثل الصحافة الغربية، قد ركزت، في تغطياتها لأحداث تلك الحر، على صور الجنود المصريين وهو عراة، معلقة على أنهم نزعوا أحذيتهم ليستطيعون الركض هروبا أمام القوات الإسرائيلية.

لم تكتف الصحافة الغربية بنشر صور وكلام يشير إلى جبن العرب بل راحت تحلل نفسياتهم متوصلة إلى حكم عنصري يقول، كما جاء في دراسة سامي مسلم (186) بأن العربي متخلف، ويعود سبب تخلفه لعد فهمه وإلمامه بالتقنية الحديثة وبالتنظيم الإدارية "وأرجعت هذا التخلف إلى نمط عقليته الشرقية الغريبة كل الغرابة عن التقنية والتنظيم".

هذا الموقف العنصري الذي يعتبر العقلية العربية عاجزة عن فهم التقنيات وإدراك التطور الحادث في العالم، نجده واضحا من خلال موقف الصحافة من العرب أثناء حرب أكتوبر 1973 حيث حقق الجيش المصري، في بداية الحرب نصر باهرا، غير أن هذه الصحافة أرجعت ذلك إلى المساعدة التقنية الكبيرة للإتحاد السوفييتي وللسلاح والخبرة المقدمة من نفس الدولة. بمعنى، أنه حتى لما يحقق العرب نصرا على إسرائيل فإن الفضل في ذلك يعود لدولة أخرى (الاتحاد السوفييتي)، حيث جاء في نفس الدراسة السابقة (ص 190) "وكان اتقان استعمال السلاح ومعرفة التقنية السوفييتية بنجاح مثيرا لدهشة الصحفيين الذين عادوا إلى الادعاء بأن الجيوش العربية لولا الأسلحة السوفييتية والإستراتيجية والتكتيك السوفييتي لربما أخفقت في تحقيق النجاحات الأولية التي حققتها، ورأى صحفيون آخرون في النجاح العربي نجاحا للسلاح السوفييتي الذي كان متوفرا بكميات كبيرة".

وحتى لما قامت الثورة الإيرانية، رأت فيها الصحافة الغربية خطرا يهدد امن واستقرار إسرائيل التي أصبحت محاطة، كما جاء في دراسة أحمد عظيمي بمد إسلامي خطير على أمنها

مما يجعلها ترفض، لأسباب أمنية، التنازل عن الأراضي المحتلة. الوجود الأمريكي بالمنطقة سيتعزز بخلق محاور جديدة.

4-1-2- إرهابيون متطرفون، بدون العودة إلى أيام الثورة الجزائرية حيث كانت الصحافة الفرنسية تصف المجاهدين الجزائريين بالإرهابيين، وحتى نبقى ضمن متن الدراسات المختارة لهذا البحث، نلاحظ بأن صورة العربي الإرهابي قد بدأت تظهر مع بدايات الكفاح المسلح الفلسطيني، سنة 1965، حيث اعتبرت الثورة الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني المحتل نشاطا إرهابيا ضد ما يسمونه بدولة إسرائيل. لقد أيدت جل الصحف الغربية سياسة الاحتلال الإسرائيلي، كما بدأت تسعى للتفريق بين العربي القابل بالوضع المفروض على العرب وبين العربي الرافض لهذا الوضع ويسعى إلى تغييره.

جاء في دراسة سامي مسلم (ص 191) بأن هذه الصحافة راحت تبحث عن بعد جديد "في الصورة العربية وهو التفريق ما بين "العربي المتطرف" و "العربي الواقعي". أي أنها تضع قطبا سلبيا مقابل قطب إيجابي." يبدو أنه من هذه المرحلة (منتصف السبعينيات) بدأت عملية تقسيم العرب إلى معتدلين قابلين بالوجود الإسرائيلي والتعايش مع هذا الوجود ومتطرفين يريدون القضاء التام على إسرائيل.

غير أن التطرف هو، حسب الصحافة الفرنسية، طبيعة ثانية لدى المسلم، فدراسة أحمد عظيمي تبين بأنه حتى عندما يقوم المسلم، حيثما كان بثورة أو عمل بطولي فغنه سرعان ما يتحول غلى تطرف أعمى؛ فالجماهير، بعد أن تسقط الدمتاتور، تصبح هي نفسها أكثر ديكتاتورية، في تعاملها مع المعارضين والنساء، كما تسعى إلى زععة أمن واستقرار كل منطقة الشرق الأوسط وتهدد أمن إسرائيل واستقرارها.

ويلاحظ نفس الباحث (ص 67) بأن "الجرائد تهتم أكثر بآثار تنامي التيارات الإسلاموية على البلدان الغربية أكثر من اهتمامها بمصير الحريات الفردية في البلدان الإسلامية. وتذهب الصحافة إلى حد المقارنة بين ال"إسلامي"، معتدل و"إسلامي" متمرد. الأول مفضل من طرف الغرب، رغم تخلفه وتسلطه، فقط لأنه لا يهدد مصالحه، أما الثاني، فمرفوض وترتفع الأصوات المنادية بضرورة محاربته لأنه متمرد على الوضع القائم ويهدد مصالح الغرب.

وجاء في دراسة أحمد عظيمي (ص 92) بان خطاب الصحافة الغربية حول المنطقة العربية يبنى من خلال قاموس من الكلمات المرعبة: "الخوف"، "الحرب"، "النزاع"، الخ. ويقول بأن الصحافة تتكلم عن " حركة كبيرة تمتد من باكستان إلى الجزائر، وتزرع عدم الاستقرار في كل مكان. إنها تعلن عن مشروعها وتصميمها على تدمير الغرب".

كما جاء في دراسة ميخائيل سليمان (ص 235) بأن موقف الصحافة الأمريكية ينعكس "أيضا على تصريحات المسؤولين الأمريكيين الذين يفرقون بين العرب والمسلمين المعتدلين (أي الجيدين)

نلاحظ من خلال ما سبق بأن العلاقة مع إسرائيل وبها هي من كانت تحدد موقف الصحافة الغربية من العربي، فكل من يناضل ضد الاحتلال الإسرائيلي يعد متطرفا وإرهابيا ومتخلفا، وكل من يقبل بالجلوس إلى طاولة المفاوضات ويعترف بما يسمى "حق" إسرائيل في الوجود يعتبر مقبولا ويمكن له أن يتطور.

لقد تميز خطاب الصحافة الغربية تجاه العرب، كما يقول حلمي خضر سامي (ص278) بالاستعلاء والنظرة الدونية للعربي إضافة إلى مواقف راسخة في ذهنياتهم تجاه العرب والمسلمين، فقد بينت نتائج دراسة نفس الباحث بأن "عرض استخدام الفلسطينيين للقوة كان متفقا مع صورة موجودة أصلا عن العرب عامة، والفلسطينيين خاصة، بأنهم شعب موسوم بالعنف." ويضيف نفس الباحث (ص 280) قائلا: "وأظهر تحليلنا أن العنف والنزاع قد ألفا القسط الأعظم من تغطية الصحافة البريطانية للوطن العربي".

4-1-3- مختلفون عن الغرب المتقدم، للغرب مشكلتين مع العرب والمسلمين أولهما كونه يرى أن حضارته قامت كنقيض للحضارة العربية الإسلامية التي يحمل لها، منذ العصور الوسطى، حقدا دفينا؛ وثانيهما كونه (الغرب) يرى بأن كل من يناقض تصوره وطرحه وتوجهه يعتبر عدوا وجبت مواجهته. مهما يقال عن المساواة والحريات واحترام الآخر إلا أن الغرب لازال لا يقبل بالآخر المختلف الذي له عقيدته ومنهجه في الحياة.

بينت الدراسات الأربعة كيف إن الصحافة الغربية متحيزة ثقافيا في معالجتها للقضايا العربية مما يساهم في إعطاء صورة عن أناس يختلفون تماما عن الرجل الغربي المتحضر، فهم تقليديون وخاملون، حيث تلاحظ دراسة حلمي خضر ساري بأن العرب هم، بالنسبة للصحافة

الغربية، المشرق والمشرق هو قصص الألف ليلة وليلة وهو (ص 278) "مشرق المستشرقين الخامد والهامد والمثقل بالتقاليد".

كما أورد أحمد عظيمي فقرة من جريدة فرنسية جاء فيها: "يجب أن نكون مغفلين حقيقة لنتصور أن الإسلام الراديكالي الذي يحاصر العالم الإسلامي اليوم، يمكنه التأقلم مع لائكيتنا. إنه يتحملها، عندما لا يكون قويا ليتحداها بعد ذلك. اللائكية تستقر بالتأكيد على حساب السلطة الروحية، وهو ما لا يقبله أبدا مسلم يبالغ في إسلامه. الفكرة القائلة بأنه من الممكن أن يصبح الدين قضية شخصية هي فكرة غبية"

4-1-5- تقليديون وخاملون، تلاحظ دراسة حلمي خضر ساري بأن العرب هم، بالنسبة للصحافة الغربية، المشرق والمشرق هو قصص الألف ليلة وليلة وهو (ص 278) مشرق المستشرقين الخامد والهامد والمثقل بالتقاليد".

فالعرب خاملون لا يعملون ، فهم يظهرون من خلال وسائل الإعلام الغربية باربعة صور مكررة باستمرار وهي صورة الثري الذي يملك آبارا من البترول ولا يعرف ماذا يفعل بثروته، وصورة الرجل المزواج الذي لديه حريمه وصورة الراقصة الشرقية شبه العارية وصورة الإرهابي الذي يفجر نفسه ومحيطه.

تستنتج دراسة حلمي خضر ساري (ص 278) بأن "الصحف لم تقتصر فقط على إساءة عرض الوطن العربي بل إنها، وبشكل أكثر تأكيدا وربما أكثر خطرا، أبقت شرائح كبيرة من قرائها على جهلهم وتخبطهم فيما يتعلق بالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي الذي يمر به عدد من الأقطار العربية في العقدين الماضيين."

4-1-6 -حكامهم مستبدون، لأنهم يحكمون شعوبا راضخة لا تطالب بحقوقها بل هي لا تعرف أصلا معنى الحقوق السياسية؛ فنموذجهم في الحكم، كما أكده أحمد عظيمي، قديم وتقليدي، متنكر للحريات وللتعددية.

لقد شكلت قضيتا سلمان رشدي والحجاب في فرنسا وبعض الأحداث الأخرى التي وقعت في إيران والجزائر، شكلت نقاط ارتكاز اعتمدت عليها الصحافة الفرنسية لممارسة الإعلام حول النموذج الإسلامي الذي يكبل المواطن بمعتقدات روحية ويحد من حريته.

4-1-7- متمسكون بدينهم، والذي هو في نظرهم العدو الأساسي للمسيحية والغرب الذي "عليه أن لا ينسى بان الإسلام هو دين حرب يحتقر الضعفاء وعديمي النشاط."، كما جاء في إحدى الجرائد التي كانت ضمن متن دراسة أحمد عظيمي حيث تقدم الصحافة الغربية النظام الإسلامي على أنه النظام المناقض لجوهريا الديمقراطية، وتورد بأن الإسلاميين يرون بأن الإسلام هو النظام الوحيد الصالح لكل زمان ومكان لأنه موجه للإنسانية جمعاء.

أن يكون المرء، كما جاء في نفس الدراسة، مع أي نظام إسلامي فهو، حسبهم، "ضد الحرية، لأن "الإسلاموية" تعتبر نموذجا لمعاداة الحرية الفردية، ففي اللحظة التي نختار فيها نظاما إسلاميا نفقد تماما كل حق في الاختيار. الإنسان، في هذه الحالة، لن يكون له الحق في انتقاد أو معارضة النظام. هنا، كل المعارضات والأقليات السياسية أو الدينية أو العرقية يقضى عليها بالقوة. في النظام الإسلامي، كل تنازل هو مرفوض من أساسه لأنه يعتبر تنازلا للشيطان. بينما الشيطان هو العدو الأساسي لرجل الدين الذي يخوض دوما حروبا ضده بكل الوسائل."

بالفعل، الشيطان له عدة أوجه والوجه المعروف أكثر، هو وجه الغرب؛ والوجه الأكثر خطورة هو وجه المرتد. بالنسبة للصحافة الغربية فإن كل مسلم يكتشف الشك يعتبر من طرف الإسلاميين مرتدا. ديكارت ليس له إذن أي مكانة في الإسلام. الشك الذي هو جوهر المعرفة العلمية يعتبر لدى الإسلاميين كفرا ومروقا عن الدين. دين الله هو إذن متعارض مع أفكار الإنسان.

4-1-8- العرب نقيض للنموذج السائد في الحكم، والذي هو النموذج الغربي، حيث نلاحظ أن هذه الصورة التي تجعل من العربي والمسلم معاد للغرب ومناهض له، هي نفسها التي يتبناها جل الكتاب والباحثين الغربيين الذين يرون، بأنه وبعد سقوط الكتلة الشرقية فإن الصراع المستقبلي سيكون صراع أو صدام حضارات وأن المسلمين سيكونون من بين الأجناس التي ستصطدم بها الحضارة الغربية(صموئيل هنتنغتون، 1999).

فيما يتعلق بالبديل، تقدم الصحافة الغربية نفس النموذج، الذي هو النموذج الديمقراطي اللائكي الذي هو، حسبها، نموذج للبشرية جمعاء، يبيح لكل المواطنين، بدون تمييز، أن يكونوا أحرارا وأن يمارسوا طقوس دياناتهم دون خشية؛ وعليه فإن النظام

الديمقراطي اللائكي وحده الذي يستطيع احتواء كل المواطنين ويوفر على الأمة التمزق والإبعاد. في إطار هذا النظام وحده تنموا الأقليات العرقية والدينية وغيرها وتتطور في سلام وأمن.

2-4- استراتيجيات الإقناع في الصحافة الغربية: ترتكز إستراتيجية البرهنة والإقناع في الصحافة الغربية، حسب دراسة أحمد عظيمي، على عدة أساليب قوية، نلخصها في:

- **التشابه**: بالاستفادة من التاريخ الحديث، تخلص الأسبوعيات ضمنيا إلى وجود أوجه تشابه بين الزعماء الإسلاميين وبعض الشخصيات من التاريخ الغربي، كالتشابه بين الخميني وهتلر وكذلك التقارب بين التنظيمات الإسلامية والمجموعات الفاشية. يمكن حتى معاينة تقارب بين خطاب الإسلاميين وخطاب جان ماري لو بان.

- **الاستنتاج**: لتبرير وجهات نظرها تلجأ الجرائد إلى عمليات إسقاط من نوع أن اللغة الثانية لعباسي مدني هي الإنجليزية، فهو إذن ضد اللغة الفرنسية. نفس عباسي مدني، يتحول في أسبوعية أخرى إلى "محب لفرنسا" لأنه أرسل فلذات كبده إلى ثانوية فرنسية.

في نفس الاتجاه، تستنتج الصحافة الفرنسية بأن الفرانكفونية والعصرنة هما وجهان لعملة واحدة وكون الفرد فرانكوفونيا فهو بالضرورة صديق لفرنسا.

- **النقيض**: لأن الإسلاميين يهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، فهم مصنفون مباشرة في وضعية المعادين للديمقراطية. إنهم نقيض البشرية لأن الديمقراطية تقدم على أنها قيمة إنسانية.
- **"التمسرح"**، من خلال التركيز على جانب "الفرجة" للحالات والأحداث. إنها تهتم بالمظاهر الخارجية للمسلمين وعلاقاتهم بالزمن وببعض الأماكن مثل الشارع والمسجد والمدرسة.

3-4- الأسباب الكامنة وراء مواقف الصحافة الغربية: جاء في دراسة ميخائيل سليمان (ص ص: 234-235) بأنه لا يجب النظر إلى القوالب الذهنية كأشياء تتسبب بنفسها بل كأعراض لأسباب خارجية، ويذكر بالنتيجة التي توصل إليها كل من وليام بوخانن وهادلي كانتريل في دراستهما بعنوان "كيف ترى الأمم إحداها الأخرى" والتي ترى بأنه "إذا كان الأمريكيون ينظرون إلى العرب نظرة سلبية فذلك لأنهم يشعرون بأن هؤلاء الناس (أي العرب) يهددوننا،

وقد قاتلوا ضدنا... ونحن لا نفهم ما يقولونه، لذا فلا بد أن يكونوا قساة، مغرورين متجبرين... الخ".

من خلال الدراسات الأربع التي اعتمدناها في مقالنا هذا، توصلنا إلى انه يمكن جمع الأسباب الكامنة وراء مواقف الصحافة الغربية من العربي والمسلم في ما يلي:

4-3-1- قوة اللوبي الصهيوني، هو لوبي قوي وناجح جدا فضلا، كما جاء في دراسة ميخائيل سليمان (ص 234)، "عن حصوله على كثير من التأييد من وسائل الإعلام وصناع القرار على السواء." وحسب نفس الباحث (ص 238) فإنه طالما ظل النزاع العربي- الإسرائيلي ومسألة فلسطين من دون حل فإن القوى الصهيونية ستستخدم جميع المصادر التي تحت تصرفها (وبينها حملات الإعلام السلبية ضد العر والضغوط السياسية على المسؤولين الحكوميين) لكي تجعل الولايات المتحدة تقبل وتتبنى وجهة النظر الإسرائيلية.

4-3-2-الشعور بالتهديد (زرع الخوف) من الأجنبي، تارة من العرب وتارة من المسلمين وتارة ثالثة من الإرهابيين، فالدول الغربية تحتاج دائما لأعداء تجند رأيها العام ضدهم، فبعد سقوط الكتلة الشرقية التي شكلت تهديدا مباشرا للعالم الحر لعدة عقود تحول البحث عن العدو الخارجي المتآمر على الحضارة الغربية نحو العالم العربي.

4-3-3-معادلة الإسلام ضد المسيحية، باعتبار أن الإسلام كان حتى بداية تسعينيات القرن الماضي الديانة الوحيدة التي تتمدد في الغرب المسيحي حيث كثيرا ما تناولت الصحف تحول الكثير من الغربيين، خاصة بعض الباحثين والمفكرين، إلى الدين الإسلامي. تظهر هذه المعادلة واضحة من خلال دراسة ميخائيل سليمان (ص ص: 235-238).

4-3-4-تناحر واختلاف العرب بين بعضهم البعض، حيث يقدم هذا التقاتل والتناحر مادة جاهزة للصحافة الغربية لبناء خطاب حول العرب الذين لا يتفقون.

5. خاتمة:

في الختام، نلاحظ بان الصورة التي رسمها المستشرقون الأوائل عن الإسلام والمسلمين لازالت نفسها مستمرة عبر وسائل الإعلام والاتصال الحديثة وأن ما تغير هو تعميم هذه الصورة لتصل إلى كل الناس؛ فبعد أن كانت آراء المستشرقين محصورة في عدد القراء الذين يتابعون كتاباتهم، يتولى الآن الصحفيون نسج خيوط الصورة النمطية وتوزيعها على مستوى العالم وليس على مستوى الغرب فقط.

كما ان الصورة التي كانت تروج لها الكنيسة، منذ بدايات انتشار الإسلام، قد خرجت ملامحها من دور العبادة لتنتقل إلى وسائل الإعلام أيضا.

لقد سعت الكنيسة، ولقرون من الزمن، إقناع أتباعها بأن المسلمين "أعداء للحضارة وأقرب إلى الهمجية والتوحش، وهم ذوو شهوة يستعبدون النساء وينظرون إليهن ليس أكثر من أدوات للمتعة"، وجاءت بعدها وسائل الإعلام لترسخ نفس الصورة النمطية بشكل أوسع وبأساليب إقناعية أكثر قوة.

7. قائمة المراجع :

- سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.

- ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987

- حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988

- أنظر في ذلك: صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تر طلعت الشايب، ط2،1999.

- Ahmed ADIMI, Islam et Islamistes à travers la presse française (cas de l'Iran et de l'Algérie), Dar el Gharb, 2006

- http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/b421a791-4f21-42ab-8c10-c72166328adc (تاريخ الزيارة: 2020/6/7)

- لقاء مكي، صورة العرب عند الغرب في ضوء التداعيات الناشئة عن غزو العراق، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/document_A5A18F69.pdf (تاريخ الزيارة: 2020/06/12)